الأهرام

١٩ / ١٢ / ١٩٦٥

الكلمة والصوت واللحن

ثلاث قيم إنسانية وفنية تكرمها الدولة فى عيد العلم

قلادة النيل اعلى اوسمة الدولة لطه حسين تكريما للكلمة المكتوبة التى سهرت على خدمة الجامعة واسدت كثيرا من الايدى لحرية الادب وكانت تجسيدا لكرامته

وقلادة الجمهورية للصوت الساحر واللحن الجميل ، لام كلثوم وعبد الوهاب .. وهكذا تكرم الدولة الكلمة والصوت واللحن وتكرم معهم ثلاث قيم انسانية وفنية فى عيد العلم . وما اكثر وجوه الشبه بين العلم والفن . واذا كان العالم والفنان يختلفان فى اسلوب بحثهما عن الحقيقة ، ويراها أحدهما فى الظواهر المتكررة داخل المعمل ، ويراها الثانى فى الرؤية الجديدة للاشياء ، اذا كان العالم والفنان يبحثان بادوات مختلفة عن الحقيقة فانهما يلتقيان فى نهاية الامر عند خدمة الانسان . وهذا هو المعنى الكبير الذى يرفع ممثل الثورة المصرية وقائدها لواء تكريمه فى عيد العلم .

ولقد احس الناس جميعا ان الدولة تكرمهم اذ تكرم ثلاثة ممن تعلق بهم الحب والاعجاب على اختلاف النظرة ، واحس الناس ان المدينة تعترف بكل ما تنطوى عليه القرية المصرية والحى الشعبى من امكانيات عبقرية كامنة ، فقد جاء الدكتور طه حسين وام كلثوم من قريتين طيبتين من قرى الوجه البحرى والصعيد . وولد عبد الوهاب فى حى باب الشعرية ، وحمل الثلاثة اصالة الريف والحى الشعبى لم كبوا معاناة التجربة الادبية والفنية حتى قدموا على نهاية الرحلة ما قدموه للشعب المصرى من روائع .

طه حسين

واذا كانت الدولة قد كرمت الفن والفنانين فى عيد العلم فقد منحت ارفع تقديراتها للاستاذ الدكتور طه حسين ، الرجل الذى يحمل لقب عميد الادب العربى عن جدارة واستحقاق حقيقيين . والرجل الذى قال حين علم بنبأ فوزه بقلادة النيل .

« لست ادرى كيف اعبر عن شكرى وامتنانى لقائد الثورة على هذا التقدير الكريم الذى اسأل الله تعالى ان اكون اهلا له » .. وكان طه حسين يقول كلماته من فوق فراش المرض ـ عافاه الله ـ وهو مرض منعه من تسلم القلادة وحضور الحفل .

ولد يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨٩ ودخل الازهر سنة ١٩٠٢ وتركه سنة ١٩١٢ وفى عام ١٩١٤ نال اول دكتوراه من الجامعة الاهلية عن رسالة « ابى العلاء المعرى » وكان قد هرم من نعمة البصر ورفعها اوقدته الدولة الى فرنسا لاستكمال دراسته . بدأ حياته الصحفية سنة ١٩١٠ فى « الجريدة » التى يراس تحريرها الاستاذ احمد لطفى السيد . وفى عام ١٩٢٣ تفرغ للصحافة فى جريدة « كوكب الشرق » . وعمل عميدا لكلية الاداب عامين منذ ١٩٣١ الى ١٩٣٢ ، وعين وزيرا للمعارف فى عام ١٩٥٠ وانتخب نائبا لرئيس المجمع اللغوى سنة ١٩٦٠ ويعد هابعامين استقال من جامعة القاهرة كاستاذ غير متفرغ بكلية الاداب لسوء حالته الصحية .

قدرته الدولة من قبل حين منحته جائزة الاداب التقديرية ، ويرجع اليه الفضل فى انشاء مدرسة الالسن بالقاهرة وانشاء المجلس الاعلى للجامعات وانشاء نقابة المهن التعليمية ..

واليه يرجع الفضل فى وقوفه طوال حياته وراء الكلمة الطيبة والحرية الفكرية كاتبا ومدافعا ومضطهدا لو لزم الامر حتى جاءت الثورة وردت اليه تقدير الشعب كاملا وتوجته بتقدير الثورة .

ويعتبر طه حسين حدثا هاما فى تاريخ الادب العربى الحديث تأليفا ودراسة وترجمة ونشرا وخدمة للادباء .. وساهم الرجل العظيم فى بروز انواع من الادب واساليب لم تكن معروفة من قبله ، وساهم بدراساته فى خلق مدرسة نقدية ادبية كان لها الفضل الاكبر فى تصحيح كثير من مفاهيم الادب ومشكلاته ، وما زال الرجل يجاهد الى اليوم ليصل بادبنا العربى الى ما يستحقه من مكانة

ولقد كانت حياة طه حسين ـ مد الله فى عمره ـ نموذجا مثيرا للكفاح والمثابرة والايمان ، ولد لابوين متوسطى الحال وكان سابع ابناء ابيه فكانت حياته اقرب الى الضيق والعسر منها الى البحبوحة والسعة ، واصيب فى الثالثة من عمره بفقد بصره فلم ير من قريته الصغيرة فى المنيا غير صور ساذجة تفتقر الى الالوان والرسوم ، وكانت هذه الصور هى كل ذخيرته من عالم الرؤية فما اعظم ما اسداه لمن يرون وما اعظم ذخيرته فى عالم الرؤى التى اضيفت الى الادب العربى .

أم كلثوم

لم تعد هناك كلمة ولحن وأداء صار الكل واحدا هو المعنى السامى

عبد الوهاب يقول عن دوره فى تطوير الأغنية

« لم يزل أمامى كثير لأقدمه »

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

طه حسين يقول ..
لست أعرف كيف أعبر عن شكرى لقائد الثورة
وأسأل الله أن أكون أهلا لهذا التقدير ..

ولقد عرف طه حسين على يدى أساتذته فى الازهر وخاصة الشيخ المرصفى كثيرا من أسرار اللغة وخصائصها مما منح أسلوبه هذه الرصانة والفصاحة ، وهو أكثر الادباء تأثرا بالتجديد رغم حرصه على القديم ، وكان لطه حسين عقلية تثور على الاوضاع العلمية آنذاك .. ومثلما ثار الفنى على الاحكام المتوارثة والاساليب القديمة كذلك ثار على هذه القيود الكثيرة التى كان التعليم يكبل بها عقول المتعلمين . ولقد نفس من هذه الثورة حين أسلمت اليه مقاليد التعليم ونال كلمته الشهيرة بأن يكون التعليم حقا كالماء والهواء وان كانت كلمته قد قوبلت بالتأفف والاضطهاد ولم تتحقق الامنية الاعلى يد الثورة المصرية وقائدها عبد الناصر .

كتب كثيرا عن ابى العلاء المعرى ، بهذا التجاوب النفسى بين الشاعر الحزين البائس المتشائم والاديب المتفائل البناء المجاهد .

واعظم ما أسداه طه حسين لامته هو ارساؤه معالم الدرس الادبى على أسس علمية وارساء معالم التاليف الادبى على أسس وافية . وقد تعددت مؤلفاته حتى زادت على اربعين كتابا ليس ها هنا مجال احصاء الافاق التى تشملها ويكفى ان نذكر انه لم يترك ميدانا فى الادب او التاريخ بغير ان يعطيه من ثاقب رايه وعبقرية مواهبه ...

من أجل هذه الخدمات الجليلة فى دنيا الادب والتاريخ العربى .. ومن اجل هذا الحب الخالص الذى نما فيه كل أدباء ونقاد المدارس الحديثة المختلفة ، ومن أجل اخلاص الرجل للكلمة ووقوفه معها .. منحته الثورة اعلى وسام فى الدولة .

ام كلثوم

سئلت من شعورها والدولة تكرمها فى عيد العلم فقالت ـ سعيدة حقا ولست اعرف كيف اجيب على السؤال .

وهناك انواع من السعادة التى يصعب تجسيد مشاعرها فى كلمات . لم تعرف النبأ قبلها ولم تعرفه حتى من الصحف .. نظرت فى الجريدة وقرات اسماء الفنانين الذين تكرمهم الدولة ولم تقرأ اسمها رغم وضعه فى عنوان كبير ... واتصل بها احد اقربائها لتهنئتها فقالت انها قرأت الصحف ولم تعثر على اسمها فهل وصلتها طبعة الارياف .. وعادت تقرأ اسمها للمرة الاولى .. كانت عائدة من الاسكندرية بعد ان احيت حفلا خيريا ، لم يفاجئها تكريم الدولة للفن فمنذ قيام الثورة والدولة تكرم الفن والفنانين .. لا تعتقد ان هناك تعارضا بين العلم والفن ، فلابد للفن من علم ولابد للعلم من فن ، تساءلت مؤكدة رأيها البس طه حسين عالما كبيرا وفنانا عظيما فى نفس الوقت . آخر عمل تقوم به هو قصيدة الدكتور ابراهيم ناجى التى يسميها « الاطلال » :

يا فؤادى اين أيام الهوى
كان صرحا من خيال فهوى

ومن قبل قطعت أم كلثوم رحلتها الطويلة مع الفن منذ أن تفتحت عيناها على الحياة فى قرية طماى الزهايرة مركز السنبلاوين .. ولقد شهد عام ١٩٢٠ ام كلثوم وهى تلبس العقال وتبدأ رحلتها مع الفن فى قريتها مع والدها الشيخ ابراهيم وشقيقها الشيخ خالد .. ولم تكن تغنى سوى الاغانى الدينية .. ثم بدات تنتقل فى انحاء البلاد . وصعدت لاول مرة الى مسرح برنتانيا لتغنى القصائد النبوية والاغانى الخفيفة

لم بدات مواسمها الغنائية تنتظم سنويا منذ عام ١٩٢٥ . قبلها تعلمت القراءة والكتابة وحفظت القرآن فى كتاب القرية وكانت ترتله بصوتها الجميل منذ الثامنة من عمرها ، وقال أحد الصالحين لوالدها ان لهذه الطفلة شيئا من اسرار السماء وستكون شيئا عظيما ..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

كانت أول اغنيـــة حفظتهـــا هى « مولاى كتبت رحمة النـــاس عليك » من تلحين الشيخ زكريا احمد للشـــيخ على محمود ، وكان والدها يعلمها لاخيها خالد فسمعتها من وراء الباب وبعـد شهر كانت قد حفظت عشرين توشيحـا من التواشيح القديمة . وكانت اول حفلة ظهـرت فيها هى حفـلة زفاف ماذون القرية ، اما اول حفلة احيتها فى القاهرة فكانت سنة ١٩٢٠ وقد اعدها لها زكريا احمد بعد ان عرفها فى قريتها وتولى تنظيمها المؤلف الشـيخ يونس القاضى . ثم استقرت بالقاهرة سـنة ١٩٢١ وبدات الغناء على التخت سـنة ١٩٢٢ فى الحفلات ولم تبـدأ حفلاتهـا شهريا بالاذاعة الا سنة ١٩٣٧

تحب الشعر الجميل ولا تفرق بين القديم والجديد . لحن لهـا الشـيخ ابو العلا محمد وزكريا احمد والدكتور صبرى وداود حسنى ورياض السنباطى وكمـال الطويل ومحمـد الموجى وبليغ حمدى واخيرا عبد الوهاب ، وغنت لحنا واحدا لفريد غصن . تحافظ على الطابع الشرقى دائما رغم تجديدها المستمر فى الاداء .. وتقرا كثيرا للقدماء والمعاصرين فى الادب والفن ، وتبدى رايها فى فكرة اللحن وتشير احيانا بتغيير بعض الكلمات والجمل الموسيقية . ظهرت فى عدة افلام سينمائية مثل « وداد » و « نشـيد الامل » و « فاطمه » و « سلامه » . عادت الى الاغانى الدينية بطريقة حديثة فغنت لشـــوقى « نهـج البـردة » و « الهمزية » . بدأ غنـاؤها الوطنى بقصيدة فى رثاء سعد زغلول سنة ١٩٢٧ ثم غنت لشوقى « سـلوا قلبى » .. ومنذ قيام الثورة وهى تغنى لها وتكل القيم النبيلة الجديدة احلى غنـاء واعذبه .

ولقد تطورت طريقة اداء الاغنية على يدى ام كلثوم ووصـل هـذا التطور اقصى امانيه . وقبل ام كلثـوم كان اكثر الاغانى (باستثناء اغانى سيـد درويش) يقوم على ترديد جمل موسيقية بقصد التطريب وحده ، وهكذا يقف الصوت فى ناحية ويقف المعنى بعيـدا عنه بمسافة .. ثم جاءت ام كلثـوم ومزجت بين الصـوت والمعنى وعبـرت ـ بغير ما جهد او مشقة ـ عن اعمق احلام الشاعر صاحب الكلمات .

لم تعد هناك كلمة ولحن واداء .. صار الكل واحدا هو المعنى الذى يحمل اجنحة ويطير بها نحو اللايين ليمتعهـم ويجعل حياتهم اكثر صفاء ورقة وعذوبة ..

عبد الوهاب

ومثلما تطورت طريقة الاداء على يدى ام كلثوم لعب عبد الوهاب دوره فى تطوير اللحن وتطوير الموسيقى الشرقية بغير ان تفقد طابعها الشرقى الجميل

سافر عبدالوهاب الى الخارج لاول مرة مع احمد شوقى امير الشعراء وكانت فرنسا هى الهدف . لم يلتق بسيد درويش سوى مرة واحدة ولكنه اعجب بالحانه واحس ما فيهـا من تطور وتجديد ، وبدأ حياته المسرحية باكمال تلحـين اوبريت « كليوباترا ومارك انطونى » التى بدأ تلحينها سيـد درويش . كتب له شوقى اول زجل الفه رغم كراهيته للعامية وهو ـ فى الليـل لما خلى الا من الباكى .

تعلم العزف على العود والبيانو وعمره سبع سنوات . غنى بين الفصول فى نادى الكلوب الحسينى وفرقة عبد الرحمن رشـدى وتبناه شوقى فنيا فلازم مجلس الشعراء منـذ عـام ١٩٢١ . دخـل معهـد الموسيقى الشرقيـة وعمره ١٤ عامـا ، بدا بغناء قصائد الشيخ سلامه حجازى واتبعها بالتواشيح القديمـة ثم أخـذ يلحن لنفسـه اغان خفيفة مثـل : فيك مشرة كوتشينة فى البلكونة بصرة بشكة عادة مجنونة وكان فى اول حياته الفنية يستمع كثيرا الى الالحـان القـديمة ويغنى بعض ادوار سـيد درويش . ويستمع الى الالحان الغربيـة ويؤكد انه لا يقتبس منها وانما يستخدم اتجاهاتها العريضة فى تطوير اغانينا وموسيقانا .. انصرف عن احياء الحفلات الغنائية بعد سـنوات ليتفـرغ للعمـل فى الافـلام السينمائية وهـكذا ترك التـدريس فى وزارة المعارف وكان يعمـل مدرسـا للموسيقى بها ويفرغ لفنـه . تقـاضى عشرة جنيهات عن أول اسطوانة له . ظل سنوات لا يلحن الا لنفسه ثم لحن فى افلامه لمن ظهر معه من المطـربات ويرجع له الفضـل فى شهـرة كثير من المغنين والمغنيات اذ كان يمدهم بالحانه متطوعا . بدأ منذ سـنة ١٩٢٨ يستخدم آلات موسيقية جديدة فى الحانه ويسير فى تلحينه فى خط يحاول التقـريب بين الشرق والغرب واول لحن له من هذا الطراز كان « اهون عليك » . وحوالى سـنة ١٩٣٨ كان عبـد الوهاب قـد تربع على عرش التلحين والغناء منـذ وقت ، وحاول هذا العام ان يطلق قنبلته الفنية الجديدة فاخرج للناس « الجندول » من تاليف المرحوم الشاعر على محمود طه ، ويلاحظ ان الجنـدول هى اول اغنية طويلة استطاع عبـد الوهاب ان يظهر بها قدراته الكامنة فى وضع مقدمة موسيقية طويلة وفواصـل موسـيقية لتكون من جمل بدل جهد موسيقى علمى فى وضعها ، كما استطاع عبد الوهاب من خلال « الكرنك » ان يستعرض مقدرته وبراعته كمغن وهو يردد متصرفا عـلى طريقة الموال « انا هيمـان ويطـول هيامى » .. وقدم عبد الوهاب « الكرنك » على نمط « الجندول » ، ومثلما صور فى الاولى جو « الجندول » وهو يتهادى على صفحة الماء حاملا عشاقه سمـار الليالى فقد صور فى « الكرنك » جو المعابد ، وكانت الحان عبـد الوهاب تنتظر معجزة اداء جـديد .. اداء من نوع جديد .. وحين التقت ام كلثوم وعبد الوهاب فى اول اغانيهما « انت عمرى » قال نقاد الفن ان المعجزة قد تحققت ، ثم اثبت عبد الوهاب باستجابته للتطور واثبتت ام كلثوم بادائها البديع الرائع ان آخر اغانيهمـا هى احلى اغانيهما ...

واذا كانت وظيفة الفن ان يقـدم للحياة من نفسه ما يجعل منها شيئا اكثر عذوبة فقد فعل ذلك عبد الوهاب وما زال يؤدى دوره فى تطوير الاغنيـة المصرية .

ومنذ قيام الثورة وعبد الوهاب يلحن لنفسـه ولغيره اناشيد وقصائد واغنيات ثورية

قال عن مشروعات المستقبل ـ لم يزل امامى الكثير مع سيدة الغناء ام كلثوم . اننا لم نزل فى البداية .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية